تفسير الجهاد في ضوء كتابات أبي الكلام آزاد

الدكتور شفيق الإسلام بن ظل الرحمن *

الملخص:

كان أبو الكلام آزاد (1888–1958) واحدًا من أبرز العلماء والباحثين المسلمين في الهند, إلى جانب كونه زعيمًا سياسيًا هنديًا بارزًا, ناضل طوال حياته من أجل تحرير بلاده من الاستعمار البريطاني وتحقيق استقلالها. وقد ترك إرثًا فكريًا غنيًا, فقد جمع بين العلم الشرعي والسياسة والفقه الاجتماعي, وبرز في أبحاثه ودراساته حول الإسلام وقيمه, لا سيما فيما يتعلق بمفهوم الجهاد الإسلامي. في مقالتنا هذه حاولنا تقديم ملخص وتحليل لأفكار أبي الكلام آزاد حول الجهاد, مع التركيز على معنى كلمة "الجهاد" في اللغة العربية والتمييز بينها وبين المصطلحات الأخرى المتعلقة بالحرب والقتال. كما سلطنا الضوء على أحكام مشروعية القتال في الإسلام كما بيّنها في كتاباته ومقالاته, مبينًا الظروف التي يُباح فيها القتال, وأهمية فهم الجهاد ليس كعدوان, بل كوسيلة للحفاظ على الدين والعدل والدفاع عن المجتمع.

كما أشار أبو الكلام آزاد إلى البُعد الأخلاقي والإنساني للجهاد, موضحًا أنه لا ينبغي أن يُفهم على نحو ضيق أو استغلالي, بل هو جزء من النظام الأخلاقي والقيمي للإسلام, يهدف إلى حماية الحقوق وإقرار العدل. ويُظهر تحليله دقة لغوية وفهمًا عميقًا لمصطلحات اللغة العربية, مفرّقًا بين الجهاد بمعناه الشرعي والواجب الديني وبين الحروب المادية التي لا تقوم على أسس مشروعة أو عادلة. بهذا, يقدم أبو الكلام آزاد رؤية متوازنة ومستنيرة للجهاد, تجمع بين الفقه الإسلامي والمعايير الأخلاقية والسياسية, مما يجعل فكره مرجعًا هامًا لفهم الإسلام كدين دعوة للعدل والدفاع المشروع عن الحقوق, ويعكس أيضًا دوره كعالم ومصلح سياسي واجتماعي يسعى لتحقيق مصلحة الأمة والمجتمع.

---

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية البنات الحكومية العامة للبكالوريوس، كولكاتا، الهند، البريد الإكتروني:
shafiqjnu@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الحرب, الجهاد, القتال, الإسلام, العرب, أبو الكلام أزاد

مازالت الحرب أداة فاصلة للسيادة والسلطة في معظم أدوار التاريخ البشري ولم يزل الصراع أداة وحيدة للبقاء والنماء في عالم الحيوانات والجمادات؛ فحيوان كبير يغذي نفسه بحيوان صغير ونبات أقوى ينمو على حساب نبات أضعف. فسؤال مهم قد يجول في خواطر العقلاء ويشغل المفكرين, وهو: كيف وجدت الحرب على أديم الأرض أو كيف وقعت الحرب الأولى في التاريخ الإنساني في هذه الدنيا؟ وما رأي أبو الكلام آزاد في ذلك؟

أسباب وقوع الحروب الأولى في التاريخ البشري:

يرى أبو الكلام آزاد: أن الإنسان في أقدم عصور التاريخ كان يتغذى على أوراق الأشجار وفواكهها ويشرب من العيون والأنهار. وعند نفاد هذه الأشياء, كان الإنسان القديم يأخذ الحيوانات الضعيفة السهلة المنال ويأكلها بدون أن يطبخها؛ لإنه لم يعرف فن الطبخ في تلك الأيام الموغلة في القدم. وعند انتهاء الحيوانات, كان الإنسان ينتقل من ذلك المكان إلى مكان آخر يتوفر فيه الغذاء الحيواني له.

كان هؤلاء الناس يختارون مكانا قريبا من الماء ليسهل شرب الماء ويتمكنوا من الحصول على عدد كاف من الحيوانات والأشجار للأكل. وهكذا قضى الإنسان أياما غير قليلة في الغابات عائشين عيشة البداوة. وفي هذه المرحلة من الزمان وصلت أسرتان أو أكثر إلى مكان واحد أحيانا.

وبما أن الإنسان خلق مغرضا, فودت كل من الأسر أن تقيم هناك وأن تغادر الأسر الأخرى, ولكن لم هي تغادر المكان نفسها. ولم يقدروا على أن يصلوا إلى أية نتيجة بالحوار الشفهي, وصار

الأمر أسوأ فاستخدموا الأسلحة الطبيعية البسيطة وهي الأسنان والأيدي والأرجل. وفي أغلب الظن أن الحرب الأولى في هذه الدنيا وقعت هكذا [١].

ومن الأسباب الأخرى في نشأة الحروب الأولى أن المجاعة والأمراض علّمتا الإنسان أنه من الاحتياط أن يجمع من وسائل العيش ما أمكن, ودفعته الرغبة فيها إلى أن يفكر في نزع وسائل العيش التي يملكها الآخرون. فكونت كل أسرة مع الأسر الأخرى القريبة منها عصابات, وبدأت تهجم على وسائل العيش التي تحت تصرف الآخرين. واتحدت المجموعات الصغيرة للذود عن نفسها أو للغارة على غيرها. وهكذا تحولت هذه العصائب الصغيرة إلى جيوش كبيرة, وأخذت تدور رحى الحروب الكبيرة مكان الغارات الصغيرة [٢].

والسؤال الآن, ما هو منشأ الحرب أو من أين تولد؟

منشأ الحروب:

يرى أبو الكلام آزاد أن منشأها الأثرة وحب الذات خلافا لما ذهب إليه نابليون أن الحرب منبعها الوحشية. ويستدل آزاد على ذلك بوقوع الحرب العالمية الأولى في أوربا المتحضرة؛ فكانت أوربا في ذروة كمالها الحضاري عند نشوبها [٣].

ويزيد آزاد في شرح موقفه المذكور كما يلي:

"منبع الحرب هو محاولة الإنسان الأنانية فقط للحصول على وسائل العيش والسؤدد. إن المدنية جعلت العيش ممتعا وثمينا للغاية. ومن الواضح أنه كلما كانت الحياة صناعية, اقتضت

[١] يراجع: آزاد، أبو الكلام، *انتخاب الهلال* (منتخبات من مجلة *الهلال* الأردية)، (١٩٨٧م) ص ٢٥١-٢٥٢.
[٢] يراجع: *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٥٢-٢٥٣.
[٣] يراجع: *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.

مزيدا من وسائل العيش, وكلما كثرت هذه الحوائج حاول الإنسان بنشاط أكثر للحصول عليها" [٤]. وتتطلب هذه المحاولات بعض الأحيان أن يتذرع الإنسان بالرذائل بدلا من الفضائل. فتتحول هذه الجهود بشكل طبيعي إلى العنف, والأعمال الإجرامية والحروب. فالمدنية, في رأي آزاد, لا توقف الحروب بل تمهد سبيلها وتولدها. ودائما تترقب دولة الفرصة للهجوم على دولة أخرى مثل الهرة تترقب الجرذ.

و"إذا أرادت دولة أن تحتل دولة أخرى, فكرت أولا أهي تستطيع أن تغلبها أم لا. إن تقدرْ على أن تغلبها, تبحثْ عن مبرر أيا كان ثم تعلنْ عن الحرب ضدها؛ وعند عدم القدرة على غلبتها لا تفكر في الحرب ضدها رغم وجود مبررات أقوى [٥]".

بيد أن من إيجابيات الدول الحديثة أنها تحظر أمورا في الحروب.

أمور محظورة في حروب الدول الحديثة:

رغم وجود التحاسد والتباغض والتحارب بين الدول الحديثة, تحظر أمور في حروبها, ومن أهمها ما يلي:

١. جرح العدو بعد استسلامه
٢. الهجوم على الجرحى
٣. رفض طلب الأمان من العدو
٤. إهانة العدو وتعذيبه أثناء حبسه
٥. الهجوم على العدو بغتة

[٤] يراجع: *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٥٦.
[٥] قول ناقد ومؤرخ شهير نقله أبو الكلام آزاد في *انتخاب الهلال*، ص ٢٥٩، و لم يحله إلى أي مصدر.

٦. استخدام أناس يتألم به جرحى الأعداء بدون أي فائدة

٧. استخدام السهام المسمومة والزجاج المسحوق

٨. استخدام القنابل عندما تكون الفئتان المتحاربتان من المسيحيين

٩. استخدام القنابل التي وزنها أكثر من ٤٠٠ كيلوغرام

١٠. استخدام السم، سواء أكان بمزجه بماء الآبار، أو العيون أو الأنهار وما إلى ذلك، أو خلطه بالطعام أو أن تبرد الأسلحة فيه.

١١. شن هجوم بغتة بدون إعلان مسبق عن الحرب.

١٢. الكذب (والتزوير في بث الأخبار الكاذبة عن الفتح والانتصار ممنوع بشدة).

١٣. نقض العهد

١٤. رفع الرايات الحمراء (التي هي علامة سيارات الإسعاف) على سيارات البضائع،

١٥. قصف الموانئ التجارية

١٦. تشهير السيوف على النساء والأطفال و الشيوخ [٦].

والجدير بالذكر هنا أن الأمور النافعة من قوانين الحرب المذكورة أعلاه قد أعلن عنها الإسلام قبل ١٤ قرنا.

علاوة على ذلك، إن القوانين التي ذكرناها آنفا والتي صاغتها الدول الحديثة أو استمدتها من قوانين الحرب في الإسلام، هل أطاعتها هذه الدول الحديثة؟ كلا! فيحدثنا التاريخ أنه عندما دارت رحى الحرب بين فئتين غير متساويتين في القوة فقدت قوانين الحرب قوتها وصلاحيتها،

[٦] يراجع: *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٦٧-٢٦٨.

واستخدمت الفئة الأقوى جميع الوسائل التي رأتها مجدية لهزم الفئة المعادية الأضعف. ومن أمثلة ذلك, عندما دارت رحى الحرب بين الإنجليز وفئة بُوْهْرا, استخدم الأول القنبلة التي كانت ممنوعة الاستعمال في قوانين الحرب الحديثة؛ فالرصاصات المصنوعة في دم في غرب البنغال سلاح شديد الدمار محظور الاستعمال, لكن الحكومة البريطانية في الهند استخدمتها في سنة ١٨٥٧م ضد المقاتلين الهنود؛ ولا يجوز الاستمرار على القتال, بعد استسلام العدو, ولكن المدافع الروسية استمرت على قصف بلون لنصف ساعة بعد استسلامها؛ وقصف الموانئ التجارية ممنوعة ولكن شاطئ بيروت تعرض لقصف إيطاليا في ١٩١١م. ومن المستحسن أن يُذكر هنا قول الفيلسوف سولن: القانون شبكة العنكبوت؛ تغلب ما هو أضعف منها وتنقطع بيد ما هو أقوى منها[٧].

الجهاد:

لا توجد أي علاقة بين كلمتي "الحرب" و"الجهاد" ولا تتشابهان في أي حرف هجائي وتختلف معانيهما اللغوية اختلافا أكثر [٨]. "ولكن رغم كل هذه التباينات, والتضادات [بين معاني الكلمتين), تظن أوربا أن الكلمتين مترادفتان. فمتى يُذكَر الإسلام عند أوربي, تتمثلْ له قائمة طويلة للحروب, ويمر بعينيه مشهد دموي للوحشية, وإراقة الدماء, والتدمير والفوضى. ومتى ينظر إلى الإسلام, يتصلْ مجرى عينيه بتيارات الدماء, وتتمثلْ له الإماء السافرات العاريات

[٧] يراجع: *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٦٩
[٨] يراجع: يراجع: *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٧٠

القائمات في الصفوف وتتمثلْ أمامه كومةً لخزائنَ مدفونة وغير مدفونة يجمعها ويكدسها كل واحد من المجاهدين أولي الطمع والجشع" [٩].

يرى أبو الكلام آزاد أنه يمكن الإجابة على أسئلة وشبهات الأوروبيين في هذا الأمر بتاريخهم القديم والحديث بكل سهولة. فكل صفحة من تاريخ الحروب الصليبية المذكرة بالجنون الديني الأوربي, رداء من الدماء غطّى السلام العالمي لمدة من الزمن [١٠]. ويقول: "إن ساحة الحرب الأوروبية في هذه الأيام مثل ساحة يوم القيامة, التي ترتفع من ثغور مدافعها الأصوات التالية المحدثة للزلزال:

"يَا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ج إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيْمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيْدٌ" [١١].

يمكن أن يسأل سائل: لماذا شرع الجهاد في الإسلام؟ فلفهم مشروعية الجهاد في الشريعة الإسلامية, في رأي آزاد, من المستحسن أن نراجع تاريخ الجاهلية حيث بزغت شمس الإسلام. فمن خصائص الحرب في الجاهلية ما يلي:

١. كانت نساء العدو تُعَزَّين بشكل عام ويفتخر به الجاهليون بشكل علني. ولذا كانت العرب في العصر الجاهلي تظن أن واجبهم الأكبر ومفاخرهم العظمى هو حفظ نسائهم من الوقوع في أيدي العدو [١٢].

---

[٩] *انتخاب الهلال*، مصدر سابق
[١٠] راجع: نفس المصدر، ص ٢٧١-٢٧٢
[١١] سورة الحج: ١ و ٢؛ *وانتخاب الهلال، ص* ٢٧٢
[١٢] كما قال الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي:

٢. جرّ جثامين الأعداء في ساحة الحرب بهدف الإذلال والإخزاء.

٣. المثلة بقطع أعضاء العدو من الأنوف والآذان لتشويه صورته.

٤. إحراق العدو حيا. وكان يعتبر هذا العمل إنجازا كبيرا. فألقى شخص جماعة في النار، فلقبته العرب بـ"محرق". وهكذا وجد في تاريخ الحروب العربي تلميح جديد. فيقول شاعر في مدح أبطال عرب:

كانوا على الأعداء نار "محرق"

ولقومهم حرما من الأحرام [١٣].

علاوة على ذلك، "نشأت للحرب عند العرب، مئات من الألفاظ، والأمثال، والتعبيرات والاستعارات. ولكن كلها كانت مناسبة لحرب همجية فقط؛ ولم يكن من المناسب أن تقبلها أمة متحضرة، ونظام متطور، ودين محب للصلح وداع إلى السلام الاجتماعي" [١٤]. فثار الإسلام على واقع الحرب آنذاك وهجر جميع الكلمات والأمثال التي كانت مستعملة في العصر الجاهلي، واستخدم لفظة بسيطة جدا تليق بالغزوات الإسلامية وهي "الجهاد". لم تظهر فيها عواطف الحقد، والغضب ولم تُر فيها عمليات الهدم والنهب وكذلك لم توجد فيها رائحة الوحشية مثلما وجدت في كلمتي الحرب والقتال وأمثالهما. ولكن الكلمة كانت تدل على سعي للوصول إلى هدف سام سواء أكان ذلك باستخدام القوة، أم كان باللسان، أم بأعمال الجوارح أم بالسيف المسلول.

يقتن جيادنا و يقلن لستم بعولتنا إن لا تمنعونا

[١٣] يراجع: *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٧٣-٢٧٤

[١٤] يراجع: *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٨٠-٢٨١

استعمل *القرآن الكريم* الكلمة المذكورة بدلا من كلمة "الحرب" في جميع الأماكن. وفي اصطلاح القرآن الكريم, لا تدل هذه الكلمة على القتال وإراقة الدماء بل تتجاوز إلى معان أخرى تدل على الإيثار, والصبر, والصمود, وتطهير الجنان والأخلاقُ الفاضلة, بشكل عام". فيقول الله ـ عز و جل ـ في *القرآن الكريم*: {لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون} [١٥].

ويقول أيضا:{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}.[١٦]

إن الجهاد بالنفس الذي ذكره الله عز وجل في الآية المذكورة آنفا, قد شرحه النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث جبريل, قائلا: "... أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك". وتشرحه آيات قرآنيات أخرى مثل {ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم.} [١٧] , و{وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.} [١٨] و{إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص} [١٩].

يرى أبو الكلام أزاد أن هذه الآيات تدل على أن الأغراض المنشودة من الجهاد في الإسلام: الصبر, والصمود, والاستقامة والإيثار, ولا مجال فيه للحقد, والغضب, وأخذ الثأر والحصول على الغنائم. فهذه أمور عرضية لا علاقة لها بأغراض الجهاد وإن أغراضها أسمى وأهم من هذه الأمور. كما جاء في حديث:

---

[١٥] سورة التوبة: ٨٨
[١٦] سورة العنكبوت: ٦٩
[١٧] سورة النحل: ١١١
[١٨] سورة العصر: ٣
[١٩] سورة الصف: ٤

" فلما كان بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم. فأنزل الله: {لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم} (٣٠)"[٣١].

فثبت بهذا الحديث أن الغنيمة كانت محرمة في أوائل الغزوات الإسلامية ولا مجال لعواطف الثأر في الحروب الإسلامية, كما خاطب الله –عز وجل- نبيه (صلى الله عليه وسلم) بقوله: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [٣٢].

كان سلوك المقاتلين في العصر الجاهلي سئيا بشعا. فكان الغدر من الخصائص الأساسية للحرب. وكانت تقتل النساء والأطفال والرسل والخدام, وكان الأعداء يحرقون أحياء بالنار وتصنع العقود بأنوفهم وآذانهم بعد قطعها. وكانوا يقتلون صبرا [٣٣]. وكان نهب أموال الناس في الطرق أمرا شائعا. ولكن الإسلام غير واقع الحرب هذا ومحا جميع الأعمال الشنيعة والتقاليد القبيحة السائدة في ذلك العصر: فقال الرسول (عليه الصلاة والسلام): "لكل غادر لواء يوم القيامة, يعرف به يقال هذا غدرة فلان" [٣٤]. وجاء في حديث آخر: " إن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مقتولة. فأنكر رسول الله قتل النساء والصبيان" [٣٥]. ولما جاء رسول مسيلمة الكذاب: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما" [٣٦]. وقال الرسول (عليه الصلاة والسلام) بمناسبة أخرى: "لا تقتلن امرأة ولا

[٣٠] سورة الأنفال: ٦٨
[٣١] *جامع الترمذي* مع تحفة الأحوذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنفال، رقم الحديث: ٥٠٧٩
[٣٢] آل عمران: ١٢٨
[٣٣] أي: مربوطين ومشدودين
[٣٤] *صحيح مسلم بشرح النووي*،كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، رقم الحديث: ١٧٣٥
[٣٥] *صحيح مسلم بشرح النووي*، مصدر سابق، رقم الحديث: ١٧٤٤
[٣٦] *عون المعبود على سنن أبي داود*، كتاب الجهاد، باب في الرسل، رقم الحديث: ٢٧٦١

عتيق" [٢٧]؛ كما نهى (صلى الله عليه وسلم) عن إحراق العدو, قائلا: "لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار" [٢٨].

يقارن آزاد بين هذه الأخلاق الفاضلة التي يجب مراعاتها أثناء الحرب حسب تعاليم الإسلام السمحة وبين أخلاق أوربا المتحضرة إبان صدور مجلة *الهلال*, فيقول: "الله أكبر! كانت هذه أخلاق العرب الساكنين في البوادي في القرن السابع الميلادي التي لا نظير لها في ساحات بلجيكا المتحضرة في هذه الأيام" [٢٩].

ونهى رسول الله (صلى الله عليه و سلم) عن النهب, قائلا: "إن النهبة ليست بأحل من الميتة" [٣٠].

يرا آزاد أن ثمةَ أمور تميز الحضارة من الوحشية. فكان العرب في الجاهلية مثلا يرفعون أصواتهم في ساحة الحرب مثل الرومان وأمم أخرى ولذا أطلقت كلمة الوغى على الحرب في لغة الضاد. فيقول شاعر جاهلي:

قد صخبت معن بجَمْعٍ ذي لَجَبٍ [٣١]

قيسا وعبدانهم بالمنتهب.

ولكن الإسلام جاء بالهدوء والوقار في غزواته. فأخرج أبو داود أنه: "كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) يكرهون الصوت عند القتال" [٣٢]. ذات مرة, في غزوة من الغزوات, رفع الصحابة

[٢٧] أخرجه أبو داود ورقم الحديث ٢٦٦٩ ولكن بألفاظ " لا تقتلن امرأة و لا عسيفا".
[٢٨] *عون المعبود على سنن أبي داود*، مصدر سابق، رقم الحديث ٢٦٧٥
[٢٩] *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٨٦
[٣٠] *عون المعبود على سنن أبي داود*، مصدر سابق، رقم الحديث ٢٧٠٥؛ صححه الشوكاني
[٣١] لَجَب: ارتفاع أصوات الأبطال واختلاطها
[٣٢] *عون المعبود على سنن أبي داود*، مصدر سابق، رقم الحديث ٢٦٥٦؛ صحيح موقوف

أصواتهم بالتهليل والتكبير, فقال لهم النبي (صلى الله عليه وسلم): "اربعوا على أنفسكم؛ إنكم لا تدعون أصم"[٣٣]. وكانت العرب تفتخر بانتظارهم في العصر ما قبل الإسلام الحرب, والصراع, والنهب والسلب؛ وأصبح هذا الانتظار من خصائص العرب القومية. فيقول شاعر من شعراء العصر الجاهلي:

فلئن بقيت لا أحلن بغزوة

تحوي الغنائم أو يموت كريم [٣٤].

لكن الرسول (عليه الصلاة والسلام) نهى أصحابه عن مثل هذا الانتظار للحرب ومثل هذا الطمع في الغنائم, قائلا: "لا تتمنوا لقاء العدو؛ فإذا لقيتموهم فاصبروا" [٣٥].

كانت كلمة "الحرب" تطلق على هذه الفعال الشنيعة والجرائم البشعة. وقدمت العرب نموذج الحرب هذا بشكل عملي كما قدمته الأمم الأخرى في العالم. ولكن الإسلام محا آثارها واستبدلها بنظام مدني جديد. فلا يمكن أن تطلق كلمة الحرب على الجهاد الإسلامي لا لغة ولا حقيقة. ولذا لم تستخدم كلمة الحرب في معنى الجهاد في أي موضع من *القرآن الكريم*. وأما كلمة "القتال" فقد استخدمت للتعبير عن شكل مخصوص من أشكال الجهاد. والنسبة بين كلمتي "الجهاد" و"القتال" نسبة عموم وخصوص.

[٣٣] العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم الحديث: ٤٢٠٥
[٣٤] *انتخاب الهلال*، مصدر سابق، ص ٢٨٨
[٣٥] صحيح *مسلم بشرح النووي*، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، باب كراهية لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، رقم الحديث ١٧٤١

قال الله –عز وجل – في *القرآن الكريم*: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} [٣٦]، وقال: {واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم} [٣٧]. فما المراد بقتل الكفار والمشركين هنا؟ فيرى إمام الهند أبو الكلام آزاد أن آيات أخرى تدل على أن التعبير بهذه الطريقة هو من قبيل مشاكلة اللفظة باللفظ, وذلك لإحداث التأكيد في الكلام. فيقول الله تعالى: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين} [٣٨]. والحقيقة أن الله غير ماكر. وإنما أجاب الله على فعال الكفار الشنيعة بهذه الطريقة. وقال الله عزوجل: {جزاء سيئة سيئة مثلها} [٣٩]. ولكن الواقع أن جزاء السيئة ليس بسيئة؛ غير أن السيئة تنتج عن السيئة طبقا لقانون العدل الإلهي. فكما لا يعني مكر الله المكر الحقيقي, كذلك لا تعني كلمة القتال هنا القتال العام الذي مارسته في الماضي وتمارسه اليوم الأمم والقبائل والجماعات. كما يقول الله عز وجل: {فإن قاتلوكم فاقتلوهم} [٤٠]. حتى عند عدم تسليم التفسير المذكور, لا يلزم من معنى الآية أن القتال من أغراض الجهاد, بل القتال ضد الكفار هنا نتيجة لأعمالهم الشنيعة. كما يتضح ذلك من آية أخرى: {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين} [٤١].

النتائج:

بعد دراسة كتابات آزاد عن الجهاد الإسلامي, توصلنا إلى النتائج التالية:

---

[٣٦] سورة التوبة: ٥
[٣٧] سورة البقرة: ١٩١
[٣٨] سورة آل عمران: ٥٤
[٣٩] سورة الشورى: ٤٠
[٤٠] سورة البقرة: ١٩١
[٤١] سورة البقرة: ١٩٤؛ يراجع: *انتخاب الهلال*، ص ٢٨٩-٢٩٠

إن من أسباب وقوع الحرب, الأثرة, وحب الذات والمدنية خلافا لما زعم نابليون أن منشأ الحرب, الوحشية. رغم وقوع حروب طاحنة كثيرة في العصر الحديث, تحظر أمور في الحروب الحديثة وأكثرها قد منع عنها الإسلام قبل ١٤ قرنا. ولكن الدول الحديثة لم تحترم قوانين الحرب التي وضعتها. علاوة على ذلك, هناك فرق كبير بين الحرب والجهاد, خلافا لما تظن أوربا. أما سبب مشروعية الجهاد في الشريعة الإسلامية فهو ما يلي: كانت كلمات كثيرة تستعمل للحرب في العصر الجاهلي, وكل هذه الكلمات كانت مناسبة للحروب الهمجية فقط, ولم تكن تصلح لدين محب للصلح وداع إلى السلام. ولذا هجر الإسلام جميع هذه الكلمات وبدأ استخدام " الجهاد" وهي كلمة بسيطة تليق بالغزوات الإسلامية فقط؛ لم تظهر فيها عواطف الحقد والغضب والوحشية مثلما وجدت في الكلمات الجاهلية للحرب. وخلافا لكل هذه الكلمات, تدل لفظة "الجهاد" بشكل عام على الإيثار, والصبر, والصمود, وتطهير الجنان والأخلاق الفاضلة, ولا مجال فيه للحقد, والغضب, وأخذ الثأر وكسب الغنائم. فكلها أمور عرضية ولا علاقة لها بأغراض الجهاد. وبالإضافة إلى ذلك, حرم الإسلام الغدر, والنهب, وإحراق العدو وقتله صبرا, كما حظر قتل النساء والصبيان. وليس ذلك فحسب, بل إن الإسلام جاء بالهدوء والوقار في الحرب كما نهى متبعيه عن الانتظار لها. أما سبب مشروعية القتال في الإسلام, فيقول الله (عزوجل): {جزاء سيئة, سيئة مثلها}. والحقيقة أن جزاء السيئة ليس سيئة, ولكن السيئة تنتج عن السيئة طبقا لقانون العدل الإلهي.

هكذا درس إمام الهند أبو الكلام أزاد الحرب والقتال والجهاد دراسة شاملة مستوعبة مستقصية.

المراجع:

١. القرآن الكريم
٢. آزاد، أبو الكلام، *انتخاب الهلال (منتخبات من مجلة الهلال الأردية)*، (١٩٨٧م)، اعتقاد ببلشنغ هاؤس، دهلي الجديدة، الهند
٣. العسقلاني، أحمد بن حجر، *فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري*، ج٧، لا تاريخ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، مصر.
٤. العظيم آبادي، شمس الحق، *عون المعبود على سنن أبي داود*، لا تاريخ، قدم له واعتني به رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية
٥. المباركفوري، محمد عبد الرحمن، *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*، ج٨، لا تاريخ، ضبطه وراجع أصوله وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا
٦. *صحيح مسلم بشرح النووي*، ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م، مؤسسة قرطبة. طباعة. نشر. توزيع، القاهرة، مصر

..... ***** .....